

# أثر اللسان العربي في اللغة الإسبانية

الأستاذ سامي الحفار الحزبري (دمشق)

الأستاذ سامي الحفار الحزبري  
(دمشق)

واطلق عليهم اسم : « المدجنون » Mudéjares وتولد عن بقائهم فن جديد في الهندسة والصناعة اليدوية سمي : المدجن Mudéjar لذا لا نستطيع ان نقول بان الاثر العربي في اسبانيا قد زال بزوال سلطانهم عليها .

وقبل ان نتحدث عن اثر الموريسكوس والمدجنين في اللغة الاسبانية في مختلف بقاع الاندلس لابد لنا من التحدث عن طبقة « المستعربين » Mozárabes وهم ابناء البلاد الذين تأثروا بالثقافة العربية والحضارة الاسلامية ابان الحكم العربي في اسبانيا . لقد حافظ هؤلاء على معتقداتهم الدينية غير انهم تعلموا العربية وبنوها في حياتهم وكانوا يتكلمون كذلك لغة بلادهم الاصلية المشتقة من اللاتينية والتي كانت تعرف باسم الرومانسية وهي نواة اللغة الاسبانية . فالحكم العربي في الاندلس توطدت دعائمها اثر حكم الفيزقوطيين Romane ، وهي نواة اللغة الاسبانية . فالحكم العربي في الاندلس توطدت دعائمها اثر حكم الفيزقوطيين Visigodos وهم قوم من الجرمان احتلوا اسبانيا في القرن الخامس الميلادي قادمين من ايطاليا وفرنسا وبنوا لغة الرومان الدارجة فيها وادخلوا في تلك اللغة اللاتينية الشعبية بعض تعابيرهم واسمائهم ومفرداتهم ، ولكن حصيلة ما قدموه لتغذية اللغة الاسبانية لا تقارن بما قدمه العرب اليها من

لا ريب في ان اثر اللسان العربي في اللغة الاسبانية من اهم آثارنا في اسبانيا واكثرها خلودا ، كما انه دليل قاطع على ان الحضارة العربية الاسلامية وجدت في الاندلس الارض الخصبة لازدهار اغراسها . فاذا تجلت تلك الحضارة في العلوم والفنون والآداب ، في الهندسة والتجارة والزراعة والصناعة ، ومنحنتنا تراثا عربيا اندلسيا افادت منه الانسانية ، فلقد كان اللسان العربي خيرا اداة للتعبير عن تلك الحضارة خلال تسعة قرون تقريبا . فالعرب عاشوا في الاندلس ثمانية قرون الا قليلا ابان حكمهم لها ، منذ دخول طارق بن زياد الى شبه الجزيرة اليبيرية سنة 711 م حتى خروج آخر ملوك بني الاحمر من غرناطة سنة 1492 م ؛ ولكن من الثابت ان الاثر العربي في بعض مناطقها قد استمر حتى مطلع القرن السابع عشر ، وذلك لان نصف مليون عربي اختاروا البقاء في اسبانيا بعد ان استرجعها ملوكها لشدة تعلقهم بها وبارضها جبلا بعد جبل . وقد عرف هؤلاء باسم موريسكوس Moriscos وظلوا يتكلمون العربية ويكتبونها حتى تم اندماج بعضهم بالاسبان نهائيا لغة ودينا ، في حين هاجر البعض الاخر الى الشمال الافريقي . فالموريسكوس هم العرب الذين تنصروا بعد ان استرجع ملوك الاسبان بلادهم من المسلمين العرب ، اما الذين لم يتنصروا وآثروا البقاء في الاندلس فلقد اضطروا للموافقة على التسمية للملوك الكاثوليك

وفلان : Fulano ومولد Muladi  
 ومعناها المسلم الاسباني . غير العربي . وقد عرف  
 الاسبان الذين اسلموا ابان الحكم العربي باسم  
 Muladies) وباطل : Baladi و Balde  
 والزيت : Zeite والجبر Algebra ومجد :  
 Mezquita ومسكين : Mezquino الخ ...  
 والامثلة اكثر من ان تحصى . وكذلك حصر  
 الاسبان اسماء المدن والقرى والقلاع التي شيدها  
 العرب في بلادهم . في شبه الجزيرة اليبيرية . كما  
 اصاب التحريف اسماء بعض الأنهر والمواقع  
 الجغرافية التي اطلق عليها اسلافنا أسماء عربية  
 ومثالا لذلك نرى ان مدينة مجربط تحولت الى  
 " مدريد " ومدينة سالم صارت Mezinaceli  
 ومرسية : Murcia و"بني سالم" في جزيرة  
 ميورقة امابوركا، Benisalem واليابسة : Ibiza  
 وهو اسم احدي جزر البليار ومدينتها الرئيسية .  
 وقلعة النور : Calatañazor . وقلعة امراج :  
 Calatarage ونهر وادي العين : Guadalén  
 ووادي الرملة Guadarrama ، وغيرها كثير .  
 وهذا ما جعلنا نتوقف عند المرور بمثل هذه  
 المفردات الاسماء العربية الاصل مستغربين ما لحق  
 بها من تحريف .

ثم ان ما نقوله عن التحريف الذي لحق باغلبية  
 المفردات والاسماء العربية لدى اندماجها باللغة  
 الاسبانية قد اصاب كذلك الاسماء الاسبانية اللاتينية  
 لدى نقلها الى العربية ، واعني بها اسماء الاعلام  
 واسماء المدن والمقاطعات والمواقع الجغرافية المختلفة  
 في شبه جزيرة ايبيريا وفي جزائرها الشرقية . فقد  
 تعارف اسلافنا على تسمية بعضها بما يتفق وذوقهم  
 السماعي واللغوي فاطلقوا اسم طليطلة على مدينة  
 Toledo واسم ملقة على Malaga واسم طركونة  
 على مقاطعة Tarragona واسم قطلونية على  
 مقاطعة Cataluña

والاهم من هذا انهم تحروا في احيان اخرى  
 اصل اسماء المدن القديمة اللاتينية الاغريقية  
 الروماني ( وشكلوا اسماءها العربية استنادا الى هذا  
 الاصل ، فمدينة سرقطة Saragoza مثلا قد  
 سميت كذلك عند العرب لانها كانت معروفة في  
 القديم باسم Coisarangusta ، ومدينة استجة  
 ( اليخا اليوم Eclja) كانت في الاصل Astigi ،  
 وشاطبه Jativa كانت تسمى Sactabis ، اما

لسانهم الفني اذ انها لا تتجاوز مئة كلمة في حين ان  
 ما دخل اليها من العربية تجاوز اربعة آلاف كلمة .

ويقول العالم الاستاذ رافائيل لايبس Rafeel Lapeso  
 في كتابه « تاريخ اللغة الاسبانية » ان العامل  
 العربي في تكوينها كبير الاهمية ويأتي مباشرة بعد  
 العامل اللاتيني . ونحن نرى فيها اليوم عددا كبيرا  
 من المفردات التي تبثديء بال التعريف . وهذا ما  
 برشدنا في احيان كثيرة الى اصلها العربي غير ان  
 قليلا منها بقي على حاله الاصل كتابا ولفظا مع انه  
 حافظ على معناه الاصيل لما اصاب تلك المفردات  
 العربية الاصل . سواء منها المتدثرة بال التعريف او  
 غيرها . من تحريف لدى دخولها الى اللغة الاسبانية .  
 والسبب في ذلك التحريف منطقي وواضح لما يوجد  
 من فوارق شاسعة بين حروف العربية وحروف  
 اللاتينية وبين جرس الاولى وجرس الثانية واسلوب  
 لفظها ؛ وبين ذوق الاذن الاسبانية وذوق الاذن  
 العربية ؛ فلكل قوم في لغاتهم ما الفوا وما توارثوا  
 لذا اختلفت وسائل التعبير والهجات واللغات . ولذا  
 كان لا بد للاسبان من سكب المفردات العربية .  
 واسماء الاعلام واسماء المواقع الجغرافية والمدن  
 التي اطلق عليها العرب اسماء عربية في قالب سماعي  
 يتناسب مع ذوقهم من جهة ومع امكانات لغتهم  
 الاصلية واحرف هجائهم من جهة ثانية . فنحن  
 نجد ان كلمة « الساقية » قد اصبحت بالاسبانية  
 ( ايكيا : Acequia ، والقاضي Alcalde  
 والمعصرة Almazaras والضبعة Aldea وذلك  
 لعدم وجود كل من القاف والعين بالابجدية اللاتينية،  
 ويلاحظ هنا فيما اوردت من امثلة ، في كلمتي  
 الساقية والضبعة ان حرف الالف المفتوحة قد  
 اصبح ( ايفا مائلة ) اي انه قد لحقت به  
 الامالة ، فالامالة شامت كثيرا فيما انتقل من  
 العربية الى الاسبانية والبرتغالية وهي ظاهرة في  
 طائفة كبيرة من الكلمات والاسماء . ثم نجد ان كلمة  
 «حتى» اصبحت Hasta ، وكلمة الوزير Alguacil  
 وقلعة ابوب Calatayud ومدينة سالم  
 Medinaceli ووادي الحجارة Guadalajarra  
 ووادي الكبير Guadalquivir الخ . . وما  
 يلاحظ كذلك ان الاسماء العربية والمفردات المسكنة  
 في آخرها لم تتفق والدوق الاسباني فتحرك آخرها  
 لدى اقتباسها باحرف صوتية مثل (ت) او (او) او (اي)  
 a, o, i بحيث اصبحت السوق : Zoco

الحادي عشر باسمين مركبين اولهما عربي ( ابن او بن او بني ) والثاني لاتيني اسباني على غرار كنى بعض الاسر العربية ، فعرفت بينهم اسر مكناة ببني هوميث Benigómez وبنافيدس Benavides وغيرها .

وهناك فى اللغة الاسبانية طائفة من الكلمات التى تبناها الاسبان وحافظوها على معناها العربي واصابها بعض التحريف ومنها : « العيب » Aleve و « حسنة » Hazaña ، كما نجد انهم صرفوا افعالا اسبانية انطلاقا من الكلمة الاسبانية (اللاتينية اصلا ) على غرار ما كان العرب يفعلون ، وهذا الاثر واضح فى كلمتي صبح ومساء اللتين تولد عنهما فعلان هما : اصبح وامسى ، اذ انشا نجدهما فى فعلي : Amanecer و Anochecer

واخيرا لا بد من القول بان اثر لساننا العربي كان كبيرا فى اسلوب التعبير الاسباني بل حتى فى اسلوب التفكير ذاته اذ ان الاسبانية تبنت عبارات عربية وجملا برمتها ونقلتها وترجمتها حرفيا ولفتها كقولهم : « ان شاء الله » (Ojalá) واهانك الله : (Dios le ampare) والله يحفظك (Que Dios guarde) وبارك الله بالام التى حملتك (Bendita sea la madre que te parió) الى آخر ما هناك من سلسلة التعابير التى لا يعرفها فى اوربا غير الاسبان ، والتي تنم عن عقلية خاصة عربية اندلسية اسبانية من اسبابها الايمان القوي وصفاء السريرة الانسانية والفة التمنى والتبريك فى الحديث .

واليوم ونحن نستعرض ذلك التاريخ المشترك الطويل ونتحرى عوامل الاثر العربي فى اسبانيا وفى لغة الاسبان لا يسعنا الا ان نقف موقف المعجب بما نقل العرب الى الارض الاسبانية من علوم وفنون وتقاليد ، وبابنائها الاصليين الذين رحبوا بما حملته الفاتحون اليهم من الوان متعددة لتلك العلوم والفنون والتقاليد ، فكانوا خير ترجمة لها فى اوربا الغربية فى القرون الوسيطة . كما يجدر بنا ان نمتدح بفضل « المستعربين » : Mozárabes الذين تاثروا بالتمدن الاسلامي واللغة العربية والتقاليد اذ انهم استعربوا باختيارهم فكرا وقلبا ، وحافظوا على لغتهم وحضارتهم وتقاليدهم قرنا اثر قرن وغاروا عليها ودافعوا عنها ، واسهموا بذلك فى نقلها الى قومهم ولغتهم وتراثهم الادبي والفنسى اولا ثم الى العالم الغربي .

اشبيلية Sevilla فان اسمها العربي مشتق من اسمها اللاتيني Hispalia ، وقرطبة Cordoba من قرطب Corteb اسم القرية الرومانية القديمة التى توسمت بعد الفتح العربي واصبحت عاصمة ملك الامويين . فالامثلة فى هذا الصدد كثيرة تلقى الضوء على حقائق تاريخية هامة .

ولعل جانب الاشتقاق اللغوي الذى جرى عليه الاسبان لدى تبني المفردات العربية من اهم جوانب هذا البحث ، فكما جرى العرب على اقتباس جزء من اسماء المدن القديمة حين تسمية مجريط مثلا حيث انهم شيدها واعطوها اسما مركبا من كلمة « مجرى » لوفرة مجاري المياه فيها ومن المقطع اللاتيني ( ايت IT ) فاصبحت مجريط ، نجد ان الاسبان درجوا على تركيب مفردات جديدة فى لغتهم اذ كثيرا ما اتخذت الكلمات اللاتينية معنى هريبا بعد ان اجروا عليها تعديلات مقتبسة من التركيب العربي . لقد الف الاسبان هذه المؤثرات فى حقبة تعايشهم الطويلة مع العرب فشاعت على سنتهم وما زالت جزءا لا يتجزأ من قاموس لغتهم . ونحن نعلم ان العرب تعارفوا على تسمية الفنى : ابن الدنيا ، واللص : ابن الليل لان الظلام يساعد على السرقة فالف الاسبان هذه التعابير الرمزية واصبحوا يسمون اليتيم : ابن الحجر ، والمتدين : ابن الاحسان ، والسطحي : ابن يومه الخ . . ثم درجت فى اللغة الاسبانية كلمة هيدالكو Hidalgo المركبة من Hijodalgo اي : ابن الخير ، واصبحت تطلق على النبلاء الذين يميزون بالخدمات القومية والشجاعة والكرم ، وقد اشار الى تفسيرها الملك الفونسو العاشر الملقب بالعالم وقال انها من المفردات الاسبانية المركبة على غرار بعض الكلمات العربية . والفونسو العاشر (العالم) هو الذى حكم طليطلة بعد خروج المسلمين منها بحوالي مائة وسبعين عاما واشتهر بتكريم ائمة الفكر المسلمين والمسيحيين اي المدجنين والموريسكوس وقد تربهم من بلاطه واستفاد من علمهم وثقافتهم لترجمة مؤلفات ابن رشد وابن سينا وابن باجة من العربية الى الاسبانية . وقد شاع فى مقاطعات ليون وقشتالة والاندلس اطلاق اسماء على الاشخاص او الاسر انطلاقا من التقليد العربي ، لذا كنا نجد افرادا من الاسبان باسم Abolmondar اي « ابو المنذر » و Abohamor اي « ابو حمود » و Almodáfar اي المظفر و Maimón اي ميمون ، كما كانوا يكونون بعض اسرهم حتى القرن